7

الحرب

سارت الحرب جنباً إلى جنب مع انتشار الإسلام بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عام 632، وقد قام الخليفة الأول للرسول، أبو بكر (الذي حكم خلال الفترة 632–634م) وهو واحد من أوائل المعتنقين للإسلام، بتوحيد الجزيرة العربية تحت شعار الإيمان، وبغزو جنوب العراق وفلسطين. وخلال العقد الثاني تمكن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وقواته من المسلمين من التغلب على البيزنطيين في مصر والساسانيين في العراق وغربي إيران. أما الخليفتان الراشدان الثالث والرابع، وهما عثمان وعلي ابن عم الرسول وصهره، فقد قتلا على أيدي أشخاص من فئات منشقة كانت غير راضية عن شكل المجتمع الإسلامي الذي اختاره هذان القائدان ووجهته. وانطلقت الحرب الأهلية، فولد ما يسمى بشيعة علي. وكانت هذه المجموعة تؤمن أن قائد المسلمين يجب أن يكون منحدراً من ذرية محمد –صلى الله عليه وسلم– عن طريق ابنته فاطمة أو زوجها علي. ومن كانوا مخالفين لهذا الرأي أطلق عليهم فيما بعد اسم السنة، ولقد كانوا مستعدين لقبول حاكم قادر على الحفاظ على وحدة الدين الإسلامي. وأشعل هذا الانشقاق الديني بين السنة والشيعة بعضاً من الحروب العديدة (لكن ليس معظمها على الإطلاق) بين المسلمين منذ عام 632.

وبعد وفاة علي في عام 661، انتقلت الخلافة إلى أحد أبناء عم الخليفة الثالث عثمان من عائلة أُمَيَّة المكيّة. ونقل الأمويون عاصمتهم إلى دمشق، وقبعوا في السلطة حتى عام 750. وتمت الإطاحة بهم بعدها على يد متمردين من شمال شرق إيران، ووُلِدت عندها الخلافة العباسية. وبوجود عاصمتها في بغداد، وفي

تفصيل من إبريق «بلاكاس Blacas».
جنديان من المشاة يتبارزان بالسيوف والدروع ضمن ميدالية كبيرة ذات فصوص على كتف الإبريق. من المحتمل أنهما يتدربان على المبارزة بالسيوف ولا يتقاتلان بالفعل بما أن ملابسهما وأسلحتهما متشابهة جداً.

سامراء Samarra لوقت قصير، كانت الخلافة العباسية قد دُعِمت بعدد كبير من الجنود الأتراك. وهؤلاء الرجال، الذين هم في الغالب من المعتنقين الجدد للإسلام، غدوا متمردين مما أضعف سلطة الخليفة بدلاً من حمايتها. وبحلول القرن التاسع أسس الحاكم التركي لمصر أحمد ابن طولون(70) Ahmad Ibn Tulun حكمه الخاص وشبه المستقل ذاتياً، وسلالة محلية: السامانيين(71) Samanids، الذين حكموا خراسان في شمال شرق إيران. ومع تزايد أعداد المهاجرين من أتراك آسيا الوسطى إلى إيران والعراق، ظهرت العديد من السلالات، ومن ثم جرى إسقاطها. واستمرت الخلافة العباسية طوال الوقت مع أن القوة العسكرية والسياسية كانت عادة في يد الأمراء الأتراك مثل السلاجقة(72) Seljuks الذين حكموا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر.

وظهر تهديد خارجي خطير للأراضي الإسلامية المركزية في عام 1099م على شكل حملات صليبية من أوروبا. وفي عام 1100 م احتل الصليبيون القدس، وعلى مر السبعين عاماً التالية توسعت وانحسرت أراضيهم في شرق المتوسط حتى عام 1187 عندما هزمهم صلاح الدين في معركة حطين واستعاد القدس. ومن بين الذي قاتلوا ضد الصليبين في القرن الثاني عشر أتابكة مدينة الموصل، وهي مركز الأشغال المعدنية المرصَّعة في بداية القرن الثالث عشر. ويوجد على المواد المصنوعة في الموصل رسومات تظهر أزواجاً

من شخصيات تتقاتل بالسيوف والدروع أو تتبارز على ظهور الخيل.

كان المغول أكبر قوة تدميرية قاتلت المسلمين وانتصرت عليهم، إذ بعد غزوهم لإيران في عام 1220 وقتلهم سكان قرى كاملة ممن رفضوا الانصياع لهم، أصيب المغول بالإرهاق وفقدوا السيطرة على غرب آسيا. واتجه هولاكو خان(73) Hulegu Khan مع جيشه باتجاه الغرب هادفاً إلى إعادة هيبة المغول، ولقد هزم جيش العباسيين في عام 1258 وقتل الخليفة المستعصم. وتم إيقافهم أخيراً في فلسطين عام 1260 على يد المماليك(74) Mamluks ولكن هذه الهزيمة على يد الكفار، والتدمير الناجم للخلافة، قد وجّها ضربة نفسية كبيرة للمسلمين. في عام 1295 اعتنق القائد المغولي قازان خان(75) Ghazan Khan الإسلام، وحتى عام 1335 عندما توفي آخر حاكم مغولي قوي في غرب آسيا، شهد المغول نهضة فنية وأدبية، وسُجِّلت قصص غزواتهم وتطوراتهم السياسية في تاريخ للعالم

أُعد للتوزيع في أنحاء إمبراطورتهم كافة.

تتحدث النصوص التاريخية مثل «ظفرنامه(76) Zafarnameh» أو «كتاب الانتصارات Book of Victories» عن النجاحات العسكرية لتيمورلنك Timur في أواخر القرن الرابع عشر وبدايات القرن الخامس عشر. ولا تكتفي النسخ المُصَوَّرة لهذا الكتاب بتمجيد قيادة تيمورلنك، لكنها تكشف أيضاً التقنيات التي استخدمها في الحصار والمعارك. وبحلول القرن السادس عشر أدى ظهور البارود إلى تغيير جذري في حروب العالم الإسلامي، فقد حارب الأتراك العثمانيون بالمدافع وهزموا الإيرانيين الصفويين Safavid Iranians في عام 1514، كما كان بإمكان المغول أيضاً الزعم بتفوّق قوّتهم النارية في القرن السابع عشر في معاركهم لتوحيد الهند. وقد صوَّر فنانو كل حقبة أسلحة عصرهم في كل تصويراتهم للحروب.

أسفل مقلمة/حافظة قلم، غرب إيران، موقَّعة من قبل محمود بن سنقر Mahmud ibn Sunqur، بتاريخ 680 هجري/1281 ميلادي.
نحاس أصفر مسبوك مرصّع بالذهب والفضة.

بينما غطاء هذه الحافظة (انظر الفصل الثالث) مزيَّن بتجسيدات للأبراج والكواكب، يحتوي هذا السطح على مشهدين لفرسان متجابهين، مع صيادين على اليسار ومحاربين على اليمين. ويحمل المقاتلون رماحاً طويلةً على الخط القطري في حين تخبُّ الأحصنة بعضها نحو بعض. وحتى لو كانت المبارزة بهدف الرياضة فقط، فإن مثل هذه النشاطات كانت تحضيراً للمعارك، إذ كانت تستخدم الرماح والسيوف والسهام والحراب وغيرها من الأسلحة الخفيفة.

الخنجر والغمد، الهند المغولية، عام 1625. من الذهب المرصَّع بالياقوت والزمرد، ونصل فولاذي، والمخمل فوق الغمد الخشبي، مع زخارف غمد من الذهب والياقوت والزمرد.

وعلى الرغم من غنى الزينة التي يتمتع بها المقبض وزخارف غمد هذا الخنجر، فإن نصله قد صنع ليتم استعماله. في الهند المغولية كان الأباطرة والأمراء والخدم والجنود يرتدون خناجرَ وسيوفاً ذات مقابض من الذهب المطلي بالمينا والمزينة بالمجوهرات. ومع أنها قد تظهر أنها مجرد إكسسوارات للزينة عندما تعرض في الصور، فإنها كانت تستخدم في الصيد وفي المعركة أحياناً وفقاً لمالكها. وكان الإمبراطور جهانجير **Jahangir**، الذي كان يملك مثل هذه الخناجر، يستخدمها غالباً في عملية الصيد وليس في المعركة.

اليمين: تفصيل من إبريق «بلاكاس Blacas».
يصوِّر هذا التفصيل من جسم الإبريق فارساً يقاتل أحد الجنود المشاة. وهما يحملان درعين متماثلين، ولكن السيف القصير لجندي المشاة ليس نداً للنصل الطويل للفارس.

تفصيل من غطاء وعاء «فاسو فيسكوفالي Vaso Vescovali».
تمثل الشخصيات التي على هذا الشكل المدور علامة برج الحمل الفلكية، أو الكبش الذي يقوده كوكب المريخ. وللتوافق مع هذه الشخصية المحاربة، فإن المريخ يحمل سيفاً بيد ورأساً مقطوعاً باليد الأخرى.

یوسف وا

تمرد و عصیان ازو ظاهر می شد
آن بطریق باندک روز برفی عظیم بر دیار
ماندند و درین وقت اقوام و خویشان ا

«المجزرة التي تبعت تدمير قبر الحسين **Husayn** في كربلاء(77) **Karbala**»، من مخطوطة مبعثرة «تاريخ الألفية»، الهند المغولية، عام **1595**. ألوان مائية معتمة، وحبر وذهب على ورق.

في مسعى لإحياء الألفية الأولى للإسلام عام 1591–2، أمر الإمبراطور المغولي أكبر **Akbar** بإصدار تاريخ مصوَّر. ويصوِّر هذا المشهد المجزرة التي حدثت بعد أن أمر الخليفة العباسي المتوكل(78) **al-Mutawakkil** (822–61) بتدمير قبر شهيد الشيعة الحسين في كربلاء في العراق، كما هو مبين على الجانب الأيمن من هذه الصفحة. إن إراقة الدماء المثيرة والشخصيات المندفعة هي تجسيد مثالي للوحة عهد أكبر (1556–1605).